

دور المسجد في حماية الأسرة وتمهين الشباب

بقلم: د. كمال العرفي

أستاذ الفقه وأصوله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة

قوامه القيم والالتزام الديني والأخلاقي.
وهو ما يوضح أن بناء المساجد ليس
بناء للجدران والأسقف، وليس مقصوده
الصلاة فقط وإلا كان مطلق الأرض
كافيا، كما ثبت عن النبي ﷺ: ((وَجُعِلَتْ
لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ
مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ)).

يقول شيخنا محمد الغزالي - رحمه
الله - في بيان قوله - تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ
أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ
يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾
«فأتصور أن الرفع هنا ليس للدعائم
والجدران، إنما هو للساحات الطهور
التي تخصصت للركع السجود، فبعد
أن كانت أرضاً عادية يغشاها أي إنسان؛
أضحت أرضاً لا يدخلها إلا متوضئ، وبعد
أن كانت لأي غرض عادي أضحت همزة
وصل بين الناس ورب الناس، ومهاداً
للمعراج الروحي الذي ينقل البشر من
مأربهم القريبة إلى مناجاة الله وتسبيحه

حرص النبي ﷺ على بناء المسجد أول
وصوله في هجرته المباركة كأحد أسس
بناء المجتمع الإسلامي ورمز للانطلاقة
والمرجع في حياة المسلمين، وقد دأبت
العمارة الإسلامية على جعل المسجد
متوسطاً للمدينة والحى. والدور والسوق
وكل المرافق تكون محيطة راجعة إليه في
توجهها العميق.

فالانطلاقة المسجدية هي مبتدأ يوم
المسلمين منذ صلاة الصبح مع عودة
متكررة وتجدد للانطلاقة وتجديد للعهد
المسجدي في كل صلاة لإعطاء البعد
الروحي والديني المطلوب لكل نشاطات
المسلمين الحياتية من تعليم وعمل
ونشاط تجاري وصناعي وفلاحي. وهو ما
أسس لنهضة فريدة في حياة المسلمين
أصبحت مثالا للحضارة الإسلامية في
صورها المتميزة ونماذجها البشرية التي لا
تزال مثالا يحتذى في بيان أن المسجد يربي
ويعلم ويوجه ويبني الفرد والمجتمع بناء

- المحور الثاني: دوره التوعوي الدائم في توجيه أفراد الأسرة.

1 - المحور الأول: محضنة المسجد:

ففي نشأة الأسرة يعد المسجد محضنها في عقود الزواج سواء بإجرائها فيه كما هو عادة الكثير من المسلمين، أو بالإشراف عليها عن طريق أئمة المساجد أو من ينوبهم. ومن حيث المتابعة بالإصلاح والنصح في حال وجود التنازع أو الخلاف الأسري.

وهنا لابد من التأكيد على الدور الإصلاحي المهم للسادة الأئمة وكذا للسيدات المرشدات في بذل كل الوسع وتنمية الجانب الاستشاري واستجلاب الثقة اللازمة للدخول إلى عمق الأسر من أجل النصح والتوجيه والصلح. وهذا الجانب يمكن أن يلاحظ تفاوت جهود الأئمة والمرشدات فيه. ولذلك نلج على ضرورة تفعيله وتغليب الجوانب الإيجابية في كل نزاع أسري والتضييق قدر الإمكان من جوانب الخلاف لتفادي الطلاق الذي هو أساس الفساد الأسري وأساس الفساد الاجتماعي تبعاً لذلك، بالانفصال بين الزوجين، وتشرد الأولاد وتشردهم، وتعرض الأسرة نتيجة لذلك

وتمجيده! أليس هذا ارتقاءً معنوياً للأرض نفسها؟».

كان للمسجد عبر التاريخ الإسلامي أدوار عظيمة الشأن، بالغة التأثير في المجتمع الإسلامي، فكان البيت الجامع الذي يختلف إليه المسلمون للعبادة، ولتسيير شؤونهم العامة، ولتدبير أمور دنياهم، وهو في الوقت نفسه مؤسسة تعليمية وتقيفية يقد إليها المسلمون لتعلم القراءة والكتابة، والنهل من ميادين العلم والمعرفة، وإلى جانب الرسالة الروحية والتربوية والتعليمية للمسجد فقد قام بأدوار اجتماعية مهمة، وثقت الصلة بين المسجد وبين محيطه، يوم أن أحيا دوره في حلّ مشكلات المجتمع، وأعاد الاهتمام بالأدوار المختلفة التي كان يقوم بها مثل: إقامة المشاريع التي تسهم في تنمية المجتمع من تعليم الكبار، ومحو الأمية، وتبني مصحة للمتضررين، ومحل لعقد الزواج، وبناء دور للمشردين، وإنشاء صناديق للزكاة.

وفي دائرة الأسرة وحماتها يبرز للمسجد محوران مهمان في دوره تجاهها:

- المحور الأول: كونه محضناً للأسرة نشأة ومتابعة.

فيعكس الأطفال المنشئين ابتداء في الأجواء المسجدية، تشكل مرحلة الشباب حساسية خاصة في التلقي والفهم وتحدياتها أكبر خاصة مع وجود وسائل التواصل الحديثة التي تفتح الآفاق على المجهول في التفكير والتصور والتي تجعل هؤلاء في مرحلتهم الخاصة عرضة لكل التوجيهات السلبية سواء إبعادا عن الدين والقيم أو تحريفا لها وانتحالا وتأويلا، وهو ما يحتاج إلى جهود أكبر في استيعاب هذه الفئة التي تشكل عماد بناء المجتمع في مستقبله المنظور.

وهذه المحورية المحضنية لابد أن تستوعب أيضا كل المقبلين على المسجد بمختلف أعمارهم ومشاربهم ونزعاتهم رجالا ونساء لضمان التحصين اللازم لكل أفراد الأسرة والمجتمع.

2- المحور الثاني: التوعية المسجدية:

وهذا المحور يكفله الخطاب المسجدي بصوره المختلفة عن طريق الخطب والدروس والندوات والمحاضرات، وتوجيه هذه الجوانب المتكاملة للخطاب المسجدي في إطار أهداف وغايات تخدم وظيفة الحماية للأسرة ولعموم المجتمع. وهو ما يقتضي ترقية الخطاب بصوره

التفكك الذي يؤدي ضرورة إلى كل أنواع الانحراف.

ويشكل المسجد أيضا محضنا لتنشئة الأطفال عن طريق الكتاتيب والأقسام القرآنية منذ القديم ثم الأقسام التحضيرية التربوية ورياض الأطفال في تطور مهامه المعاصرة، وهو ما يشكل فرصة لتلقين النشأ وتربيته على القيم القرآنية والإسلامية، وتحصينه من كل الأفكار الهدامة على مستوى الشبهات، وتحصينه من كل الانحرافات على مستوى الشهوات.

وهو دور مهم جدا نحتاج أيضا للتأكيد عليه وللتأكيد على ضرورة تحلي القائمين على هذه النشاطات المسجدية بالدور الرسالي الذي يؤهلهم لتشكيل هذا المحضن المتكامل، وأن لا تقتصر مهامهم على الجوانب الشكلية لهذه النشاطات، بل يعدون أنفسهم دائما جزءا من الحل الذي تنتظره المجتمعات والأسر للوقاية والتحصين.

وثالث أدوار المسجد كمحضن احتضان الشباب والمراهقين وهو أصعب الأدوار وأخطرها لأنه يحتاج إلى تحصين هؤلاء تحصينا مضاعفا ومستمرًا،

كلها لكي يعالج كل ما يمكن أن يهدد الأسرة تصورا وسلوكا.

(العمل على تلقين الناس الدين وتفقيهم فيه، وليس كالمسجد مكان يناسب الجميع لتلقي أمر دينهم، فليكن من اهتمامات القائمين على توجيه الناس في المساجد تعليم العباد ما يجب عليهم في الدين، يجب ألا يهمل جانب من الجوانب: عبادات ومعاملات، وعلاقات وحقوق.

يجب أن تتنوع الدروس بين اجتماعية وتربوية، واقتصادية وسياسية، وثقافية وتاريخية، كما يُراعى في الوعظ والإرشاد الاهتمام بكل الفئات التي يتكوّن منها المجتمع، يُخاطب الكبير والصغير، والرجل والمرأة، العالم والجاهل، أي يجب أن يتحوّل المسجد إلى جامعة شعبية، يستفيد منه كلّ من يرتاده كي يتشوّق كلّ فرد إلى الذهاب إليه، وحتى يؤدّي المسجد دوره كما أنيط به، وكما كان في العهود السابقة، على الخطاب المسجدي أن يبتعد عن العموميّات، بل عليه أن يتعمّق في عرض الموضوعات، ويُعنى بالتحليل، والمعالجة الحقيقية للموضوع، والاهتمام الخاصّ والجاد بمشاكل المجتمع الحقيقية، وتقديم

الحلول المناسبة لحلّها، والابتعاد عن الخطاب المحتط، والجميل الجاهزة الاستهلاكية، والكلمات الرتانة التي لا تخدم الموضوع، ولا تقدّم أيّ فائدة لمن يؤمّ المساجد، وأن يُقلّل - قدر المستطاع - من ترديد أقوال بعينها، ودروس بنسخها المعروفة والمألوفة لدى المستمع، بما يبعث على الملل والسأم، فيجب الحرص على الابتكار في الموضوعات، والتّجديد في الأساليب، والتنوّع في المصادر.

على الواعظ في المسجد، والمشرف على التّوجيه فيه أن يراعي في تطبيق القواعد التي أشرنا إليها، واستغلال المسجد في أداء مهمّته العمل على مخاطبة الناس حسب مستوياتهم ومداركهم، وأن يراعي التّنوّع في أساليب الخطاب، والتّفنّن في طرق مخاطبة الناس وتوجيههم، فيتنقّل بهم بين التّوجيه المباشر والإرشاد عن طريق قصّ القصص، وإجراء الحوار، وإقامة الندوات وغيرها، كما يحرص على أمور مهمّة تتمثّل خاصّة في الآتي: التدرّج في تقرير الحقائق، وتلقين الدروس، وتقديم المعلومات اعتباراً لمستويات المخاطبين، والاعتماد على الدليل في تعليم الناس أمور دينهم، وفي مقدّمة ذلك القرآن الكريم، والسنة الصحيحة،

يسمعه ويراه ويعلم خواطر نفسه، وأنه محاسبه على ما يفعل ويقول، فلا يتبع هواه ولا يفعل ما يغضب ربه، بل ينقاد لشرع الله تعالى، ويصبر على طاعة مولاه رجاء الرحمة ودخول جنة ورجاء النجاة. بنفس الطريقة تتم مواجهة الأضرار الاجتماعية المترتبة عن الانحراف والجريمة، باعتبار الفرد جزء من الأسرة، والأسرة نواة المجتمع الإسلامي، حيث يترتب عن اهتمام المسجد ونشاطاته بناء الفرد من خلال تلقينه ما يحتاج من تهذيب وتربية وتأديب، فيتم أمره في كل سانحة بتجديد إيمانه الذي يقوى ويزداد بالطاعة وينقص بالمعصية المؤدية إلى الانحراف).

للموضوع هوامش

والحرص على مخاطبة العقل مع إثارة الانفعالات الإنسانية، أي مخاطبة العقل والوجدان معاً.

خلاصة القول: إن مسؤولية القائمين على إرشاد الناس في المساجد كبيرة وثقيلة، بحجم ثقل مكانة المسجد ودوره في حياة المسلم، وتكفله بالقيام بشؤون المسلمين التي أناط الله القيام به للمسجد، واعتباراً لما كان يقوم به الأسلاف بين جنات المساجد، فليع ذلك من وضع فيه الناس ثقتهم، وحملوه مسؤولية إرشادهم وتوجيههم.

(فعندما يركز القائمون على مؤسسة المسجد، فإنهم يركزون على النشاطات المسجدية، ويدركون الدور الذي يقوم به المسجد في حماية المجتمع من الانحراف والجريمة، كما يدركون المضار التي تتركها هذه الظاهرة في المجتمع، فالمضار أو الأضرار تتنوع من أضرار دينية إلى اجتماعية. لأن النشاط داخل المسجد يتم فيه التركيز على المؤمن الذي يدرك بأن الإيمان «بمفهومه الصحيح هو عماد إصلاح النفس واستقامة سلوكها، فهو يربي الضمير الإنساني لمحاربة انحرافات النفس وكبح جماحها. والمسلم الصحيح يحس بأن ثمة رقابة من الله تعالى